

اعتقاد

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري

(١٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

وفيه:

١ ـ مجمل اعتقاد أهل السنة والأثر

٢ ـ التحذير من مذاهب أهل البدع والأهواء

٣ ـ إثبات مقادير الله تعالى

٤ ـ رسالة في اتباع الأمر الأول والأمر بالزهد في الدنيا

الرسالة الرابعة

التمسك بالأمر الأول والزهد في الدنيا

مجمل الرسالة:

أصل هذه الرسالة جوابٌ أرسله سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لعباد بن عباد الزاهد العابد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما طلب منه أن يكتب له بذكر خصال وخلال من يصحب من أهل زمانه.

فكتب له سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الوصية النافعة الماتعة التي وصف فيها أهل زمانه، وحذره منهم، وأوصاه فيها بالتمسك بالأمر الأول الذي كان عليه سلف الأمة، وأوصاه بالزهد في الدنيا والتقلل منها، ومن كثرة مخالطة أهلها، ولزوم العزلة والخمول والحذر من الدخول على الأمراء، وما لبَّس الشيطان على كثيرٍ من القراء في هذا الباب.

وغير ذلك مما ستقف عليه فيها.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الوصية من كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٨٧).

۞ قال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الجرح والتعديل»:

رسالة الثوري إلى عبَّاد بن عبَّاد

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل السلال، نا الفريابي، قال:
كتب سفيان بن سعيد إلى عبَّاد بن عبَّاد، فقال:
من سفيان بن سعيد إلى عبَّاد بن عبَّاد؛ سلام عليك،
فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٰه إلَّا هو.

أما بعد،

١ ـ فإني أُوصيك بتقوى الله، فإن اتقيت الله عَزَّوَجَلَّ كفاك الناس، وإن اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئًا.

٢ ـ سألت أن أكتب إليك كتابًا أصفُ لك فيه خِلالًا تصحب بها أهل زمانك، وتؤدِّي إليهم ما يحقّ لهم عليك، وتسأل الله عَزَّوَجَلَّ الذي لك.

وقد سألت عن أمرٍ جسيم، الناظرون فيه اليوم المقيمون به قليل، بل لا أعلم مكان أحدٍ، وكيف يستطاع ذلك؟

وقد كَدُرَ هذا الزمان أنه ليشتبه الحق والباطل، ولا ينجو من شرِّه إلَّا من دعا بدعاء الغريق.

فهل تعلم مكان أحدٍ هكذا؟

٣ ـ كان يقال: يوشك أن يأتي على الناس زمانٌ لا تقرّ فيه عين حكيم.

٤ ـ فعليك بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ، والزم العُزلة، واشتغل بنفسك، واستأنس بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، واحذر الأُمراء، وعليك بالفقراء والمساكين والدنو منهم، فإن استطعت أن تأمر بخيرٍ في رفقٍ فإن قُبِلَ منك حمدت الله عَزَّوَجَلَّ، وإن رُدَّ عليك أقبلت على نفسك فإن لك فيها شغلًا.

٥ ـ واحذر المنزلةَ(١) وحبها، فإن الزُّهدَ فيها أشدُّ من الزهد في الدنيا.

٦ ـ وبلغني أن أصحاب محمد ﷺ كانوا يتعوَّذون أن يدركوا هذا الزمان، وكان لهم من العلم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركنا على قلَّة علم وبصر، وقلَّة صبر، وقلَّة أعوان على الخيرِ مع كَدَرٍ من الزمان، وفسادٍ من الناس.

٧ ـ وعليك بالأمر الأول والتمسك به، وعليك بالخمول، فإن هذا زمان خمول، وعليك بالعزلة وقلَّة مُخالطة النَّاس، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إياكم والطمع فإن الطمع فقرٌ، واليأس غنى، وفي العزلة راحةٌ من خُلاط السوء.

وكان سعيد بن المسيب يقول: العزلة عبادة.

٨ ـ وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

٩ ـ وإياك والأُمراء والدنو منهم وأن تخالطهم في شيء من الأشياء.

١٠ ـ وإياك أن تُخدع فيقال لك: تشفع فترد عن مظلومٍ، أو مظلمةٍ، فإن تلك خدعة إبليس، وإنما اتخذها فُجَّارُ القُراء سُلمًا.

١١ ـ وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنةٌ لكل مفتون.

١٢ ـ وما كُفيت المسألة والفُتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم، وإياك أن تكون ممن يُحبُّ أن يُعمل بقوله، ويُنشر قوله، أو يُسمع منه.

(١) المراد بها: الجاه والقدر والمكانة عند الناس.

١٣ ـ وإياك وحبَّ الرياسة؛ فإن من الناس من تكون الرياسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامضٌ لا يُبصِرُه إلَّا البُصراء من العلماء السماسرة[١].

١٤ ـ واحذر الرياء، فإن الرياء أخفى من دبيب النمل.

١٥ ـ وقال حذيفة: سيأتي على الناس زمان يُعرضُ على الرجل الخير والشرّ فلا يدري أيُّما يركب.

١٦ ـ وقد ذُكِرَ عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تزال يدُ الله ﷻ على هذه الأُمة وفي كنفه وفي جواره وجناحه ما لم يَمِل قراؤهم إلى أمرائهم، وما لم يبرَّ خيارُهم أشرارَهم، وما لم يُعظم أبرارُهم فجَّارهم، فإذا فعلوا ذلك؛ رفعها عنهم، وقذف في قلوبهم، وأنزل بهم الفاقة، وسلَّط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب**».

وقال: «**إذا كان ذلك لا يأتيهم أمر يضجون منه إلَّا أردفه بآخر يشغلهم عن ذلك**»[٢].

١٧ ـ فليكُنِ الموتُ من شأنك ومن بالك، وأقلَّ الأمل وأكثر ذكر الموتِ، فإنك إن أكثرت ذكر الموت هان عليك أمر دُنياك.

١٨ ـ وقال عمر رضي الله عنه: أكثروا ذكر الموت، فإنكم إن ذكرتموه في كثيرٍ قلَّلَه، وإن ذكرتموه في قليلٍ كثَّره، واعلموا أنه قد حان للرجل يشتهي الموت.

أعاذنا الله وإياك من المهالك، وسلك بنا وبك سبيل الطاعة.

---

(١) المراد بالسمسار هنا: العالم الحاذق المتبصر في الأمور. «تاج العروس» (١٠/٤٧٦).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢١) عن الحسن مرسلًا، وإسناده إليه ضعيف.